المحاضرة الثالثة: الأدب الإيطالي:

تمهيد: انقسمت إيطاليا بحكم العوامل الطبيعية والاقتصادية منذ العهود القديمة إلى قسمين جدّ مختلفين؛ قسم ذو أراضٍ خصبة صالحة للزّراعة ويمتدّ من الوسط إلى الشّمال، وقسم قاحل بركاني كثير الزلازل يشمل الجنوب والجزيرتين التابعتين لإيطاليا، ومن النّاحية التاريخية فقد عرفت طوال العصور الوسطى نزاعا مزمنا وعنيفا بين البابوية والإمبراطورية الألمانية بحيث لم ينته إلا بانتصار مؤيّدي البابوات الحاسم في منتصف القرن 13م. أمّا من الناحية الثّقافية والفكرية فإنّ إيطاليا لم تتمتّع بلغة وأدب وطنيين؛ لأنّ المثقّفين كانوا يفضّلون الكتابة باللاتينية والفرنسية القديمة (لغة البروفنسال).

1_ البواكير الأدبية: لعدّة قرون لم يستعمل العلماء والأدباء الإيطاليون عدا لغتين: اللاتينية والفرنسية القديمة، فالأولى كانت وقتئذ لغة الدّين والدّنيا معا، والثّانية فرضتها ظروف الاحتكاك بالفرنسيين، والمنزلة الطيّبة التي تبوّأتها في نفوس المثقّفين. ونجم احتكاك بين الأدباء خاصة في الشّعر الغنائي الذّي كان تقليدا للشعراء الجوالين الفرنسيين، والأمر نفسه مع الشّعراء المنشدين الإيطاليين الذين راحوا يغنّون وبلغة أصحابها دائما (الفرنسية) نبذا من أغاني المفخرة عامّة، ومن قصص الطاولة المستديرة خاصّة، وهي القصص التي حظيت برواج عظيم بلاد لم تعرف قط النظام الإقطاعي ولا الحروب الوطنية ضدّ العرب، لكن شيم الفروسية استهوت مثل فكرة الحب العفيف المعبّر عنها في تلك القصص استهواء لا مثيل له الطّبقة الراقية في إيطاليا.

ونتج عن ذلك أدب قصصي نثري حول ملوك فرنسا؛ أدب يشيد ببطولات كبار فرسان القرن 8م كرولان، وأوليفييه، ولانسلو شارلومان... غير أنّ براعم الأدب الإيطالي الوطني الحقّ سوف تظهر بإيعاز من إمبراطورية **فريدريك الثاني** (1250م)؛ فتنتج في جزيرة **صقلّية** وفي **بلرمو** بالذّات أوّل مدرسة شعرية أصيلة عبّر أصحابها لأوّل مرّة بلغتهم العادية أو القومية عن مشاعرهم المرهفة، وعالجوا مواضيع خُلقية وبطولية رائعة. وسرعان ما انتقلت هذه المدرسة الشعرية من المحاكاة إلى الإبداع الحقيقي، وإليها يرجع الفضل في ابتكار **الكونزونة** أو **السونيتة**، وهما نمطان شعريان جديدان بلورهما كل من **بترارکه** و**دانتيه**، وأتاحت للأسلوب الرقيق والجديد أن يظهر ويتميّز بمضمونه ذي الحب العفّ ولغته المهذّبة الطّاهرة.

وبعدها، تلتحق بها مدرسة **بولونيا** ومدرسة **توسقانيا** التي أنجبت فطاحل الشّعراء ك: **غيتونيه درّيزو، وغويد، و كافالكانتيه**...وفي جوّ خذه المنافسة يتألّق نجم **فلورنسا** حاملة مشعل أحسن شعر إيطالي مجيد بسبب رقّة وعذوبة لهجتها، ولأنّها حافظت دون سواها من المدن التوسقانية على ازدهارها العام واستقرارها السّياسي، بفضل روح الدّيمقراطية السائدة بين حكّامها ومحكوميها.

وفي القرن 13م ظهر الشّعر الدّيني على يد القدّيس **فرنسيس الأسّيزي** (1226م) وتلميذه **جاكبونيه داطوديه** (1306م)، وهو شعر اتّسم بالرقّة والتصوّف ووصف المناظر الطّبيعية الخلابة، وأتاح أيضا نجاح **اللّاند** وهو نوع من الشّعر الدّيني الشّعبي الذي كان يُرتّل في السّاحات العمومية ممّا أدى من دون شك إلى تطوير اللّغة الإيطالية. وفيما بعد أصبحت لهجة **فلورنسا** تسمّى بالعامّية الشّهيرة أو اللّغة الأدبية.

يعدّ **دانتي اليجيري** (Durante Delli Alighieri)1321/1265م ويلقّب بهوميروس الأدب الإيطالي وخترع لغتها بفضل رائعته **الكوميديا الإلهية** باللهجة التوسقانية التي أثّرت على اللّغة الأدبية الإيطالية، وله عديد المؤلّفات مثل: العامّية الفصحى، والنّظام الملكي، والتوسقانية نحو الحياة الجديدة، والكوميديا الإلهية ، هذه الأخيرة التي نظمها ما بين سنوات 1320/1307م، تتحدّث عن جولة في عالم الأرواح الغريب أو العالم الآخر، وتدوم الرّحلة سبعة أيّام، وتعدّ الكوميديا قصيدة الروح المتعطّشة إلى حياة أفضل وتواقة نحو سعادة تنفلت من الإنسان ولن يجدها إلا بالرجوع إلى الله عزّ وجلّ وصراطه المستقيم. وقد تأثّر به عديد الشّعراء الفرنسيين خاصّة **مدام دي ستايل** التي عظّمته في قصّة **كوريني** (1809م)، وترجم الشاعر **شاتوريان** مقتطفات من الكوميديا، واعتبره **هيغو** من بين الذين أحسنوا تجلية النفس البشرية...

أثناء القرن 14م لمع اسم كلّ من: **بترارکه وبوكاشيو**:

أ_ بترارکه (1374/1304م): الذي عاش حياة المنفى منذ نعومة أظافره في فرنسا، هناك عاش في خضمّ الزّخم الفكري والثّقافي الزاهيين، وفي شبابه رأى المرأة التي ألهمته وخلّدها في أشعاره **لور دي نوفيس**، وبعد وفاتها سنة 1348م يعود إلى إيطاليا، بعد أن ذاع صيته، وكُلّف بمهام دبلوماسية، وأصبح قبلة للكتّاب والأدباء من كلّ مكان، وصار منزله مكتبة أوروبا الثّقافية؛ لأنّ مكتبته غنية بأمهات الكتب. كان رجلا طيّب المعشر، متنوّع المواهب؛ بحيث لم يترك مجالا إلا وكتب فيه، ولكن شاعريته

طغت على مختلف الجوانب الأخرى، وقد كتب على شاكلة الشعراء الفرنسيين الجوالين، وسما بالحب العذري أو الأفلاطوني سموّا لا حدّ له، وحبّ **لور** ملك عليه فؤاده وجوارحه، فجاءت قصائده التي ليس لها مثيل في الدنيا وطبعت في ديوان **الكانزونيرييه** (1470).

يعدّ **بترارکه** أهم الشّعراء المنقّبين عن ذخائر القدامى، وهو الأب الحقيقي للذكاء العصري حسب قول **نولهاك**، أو الممهّد لتلك الصّحوة الفكرية المعروفة بالنّهضة وأحد أعلامها البارزين.

كان له تأثير قويّ في الأدب الفرنسي خاصّة جماعة الثريّا التي شُغف أصحابها به، وتوالى اللإقبال عليه في العصور اللاحقة، كما تأثّر به الشاعر الفرنسي **لامارتين**.

ب_ بوكاشيو(1375/1313): وُلد لأب فلورنسي وأمّ باريسية، واشتهر بعملين ضخمين، أحدهما تدريسه وشرحه لأعمال **دانتي** مثل كتابه **حول الكوميديا الإلهية** الذي طُبع سنة 1473م، والعمل الثّاني كتابه **الدّيكاميرون** (1353/1349م) الذي طوّر فيه الفني الإيطالي، إضافة إلى عمله **العشرة أيام** التي تأثّرت بها الكاتبة الفرنسية **مارجريت دي نافّار**.

_ في القرن 15م: يبرز نجم **لودوفيكو أريوستو**(1533/1478م) الذي عاش في عصر زاخر بالأدباء والفنّانين الأفذاذ أمثال **ماكيافلّي، وليوناردو دافينشي، ومايكل أنجلو**. وقد اشتهر باسم **رولان الثّائر** نسبة إلى عمله الذي يحمل العنوان نفسه، وهو عبارة عن قصيدة بطولية هزلية في 46 نشيدا، وتعتبر مرآة صادقة لمجتمع ظريف طائش أحيانا ومولع بالمآثر الأسطورية وعالم الحب والمغامرة والسّحرة، ولكنّه لم يبتغ من عمله أي هدف فلسفي أو تعليمي أو خلقي عدا الجمال الخالص.

_ في القرن 16م: يظهر **توركواتو تاسّو**(1544/ 1595م) الذي اشتهر بعمله **أورشليم المخلّصة** الذي يتمحور حول حصار أورشليم أثناء الحروب الصّليبية الأولى، مستغلا استغلالا جيّدا المصادر التاريخية، وكان شبيها بإنياذة فرجيل، وسرعان ما انتقلت شهرته إلى فرنسا فقلّده **رونسار في** الفرنسيات، و**شابلان** في **فرنسا المخلّصة**، وجان كوكتو **في رونو وأرميد**.

_ في القرنين 17م و18م:مما لا شكّ فيه أنّ ركودا مس الأدب الإيطالي في هته الفترة، أما في مجال المسرح فقد حاول إيطاليو القرن 16م ابتكار كوميديا كلاسيكية ، لكن النجاح لن يأتيهم إلا من نوع الكوميديا ذات الإلهام الشّعبي أو المرتجلة، فظهرت كوميديا **ديلّارتيه** التي استمدّت أصولها من الأفراح

الشعبية الإيطالية، ومن التّقاليد المسرحية الموروثة عن مينانر الإغريقي وبلوتوس اللاتيني، غايتها التّسلية والمرح، وتستعمل وسائل الهرجة المعروفة الحركات النشيطة والألعاب البهلوانية والرقص والإيماء... ومن خصائصها: الارتجال، وثبوت الشّخصيات والأقنعة، وتعقيد الدّسيسة (سوء التفاهم والتنكر عند الممثّلين).

_ **الرّومانسية**: نشأت الرومانسية الإيطالية ببضع سنوات قبل ظهورها في فرنسا، والفضل يرجع لـ**مدام دو ستايل** التي روّجت لها حين إقامتها في إيطاليا، ودعت الكتّاب الأوروبيين إلى ضرورة التخلّي عن الأسلوب الميثولوجي الموروث عن القدامى وتجديد الأدب بالمصادر الرومانسية، فظهر الشّاعر الميلاني (نسبة إلى ميلانو) **جيوفاني** الذي دعا إلى ضرورة التحرر من هيمنة الذوق الكلاسيكي في عمله **رسالة نصف جدّية** 1816م. كما ظهر الشاعر **مانزوني** (1861/1785م) الذي أشهر الرومانسية الإيطالية بعمله **الكونت دي كارمانيولا**.

ومن **خصائص** الرومانسية الإيطالية الميل إلى التحرر وكسر القيود التي كبّلت إيطاليا وصيّرتها مستعبدة، أراد أصحابها أدبا عصريا له قدرة اختيار المراضيع المهمّة، والتعبير عن أحلامهم، والمساهمة في تربية النّشء تربية دينية مسيحية ودنية، واقتربت بذلك الرومانسية من نظرية الفن النافع لاقترابها من البعد الواقعي والوطني.

_ في القرن **19م**: لم تعرف إيطاليا سوى أدب وطني ونفعي يساير طموح الإيطاليين ونضالهم من أجل الحرية والاستقلال الوطني، وابتداء من عام 1860م يظهر جيل جديد غير معني بالمسائل السياسية يوجّه اهتمامه نحو الفنّ الرّفيع، فظهرت لائحة من الأدباء المعاصرين في القرن 20م تكتب في شتّى المجالات الشّعرية والروائية والمسرحية والنّقدية على شاكلة: **أنطونيو فوغزّار، غرازيا داليدا، ألبرتو مورافيا، جيوفاني جنتليه، بندتّو كروشيه**... ساهموا في تطوير الأدب الإيطالي.

المصادر والمراجع:

- **نبيل راغب، معالم الأدب العالمي المعاصر، دار مصر للطباعة والنشر، مصر،(دط)،(دت).**
- **بديع حقي، قمم في الأدب العالمي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،(دط)،1987.**
- **فؤاد المرغي، المدخل إلى الآداب الأوروبية، منشورات جامعة حلب، سورية، (دط)، 1992.**